

إشكالية استخدامات تكامل المناهج في الدراسات الإعلامية والاتصالية

مقاربة إبستمولوجية

The Problem of Using Curriculum Integration in Media and Communication Studies An Epistemological Approach

موسى العيادي^{1*} ، رابح بلقاسمي²

¹ جامعة يحي فارس بالمدينة (الجزائر)، laidi.moussa@univ-medea.dz

² جامعة يحي فارس بالمدينة (الجزائر)، belkcemi.rabah@univ-medea.dz

تاريخ النشر: 2025 / 03 / 31

تاريخ القبول: 2025 / 03 / 26

تاريخ الإستلام: 2025 / 01 / 19

ملخص:

تهدف الدراسة إلى تفكيك بعض الإشكاليات المرتبطة باستخدام وتوظيف المناهج في بحوث الاعلام والاتصال، انطلاقا من التحليل الموضوعي المستخلص من النقاشات الفكرية حول منهجية البحث في هذا الحقل المعرفي المتميز نسبيا من حيث موضوعاته والمتداخل منهجيا مع عدد من التخصصات العلمية الأخرى. تستعرض الدراسة المنطلقات الأساسية لفلسفة المناهج وتطبيقاتها والأسس النظرية للبحث في علوم الاعلام والاتصال، لتخلص إلى عرض المداخل الأساسية لتكامل المناهج، وهل يمكن كبدل إبستمولوجي من تجاوز مشكلة المنهج في بحوث الاعلام والاتصال.

الكلمات المفتاحية: إبستمولوجيا؛ اتصال؛ الإعلام؛ تكامل المناهج؛ الدراسات الإعلامية والاتصالية؛ المناهج.

Abstract:

The study aims to dismantle some of the issues related to the use and application of methodologies in media and communication research, starting from the objective analysis derived from intellectual discussions about research methodology in this relatively distinct field of knowledge, particularly in terms of its subjects and its methodological overlap with several other scientific disciplines.

The study reviews the fundamental premises of the philosophy of methodologies and their applications, as well as the theoretical foundations for research in media and communication sciences, It concludes by presenting the essential approaches for integrating methodologies, and whether it can serve as an epistemological alternative to overcome the methodological issues in media and communication research.

Keywords: Epistemology; Communication; Media; Curriculum Integration; Media and Communication Studies; Methods.

1. مقدمة

تجلت في عصر التكنولوجيات إشكالات منهجية بحثية متصلة بالدراسات الإعلامية والاتصالية وبرزت مقاربات حديثة لتحسين المناهج المعتمدة والمتداولة في الأدبيات والدراسات الإعلامية والاتصالية، مما أضاف تعقيدات جديدة للمشكلات المنهجية المطروحة في الحقل المعرفي لعلوم الإعلام والاتصال، والناجمة أساساً عن استقلالية الظاهرة الإعلامية والاتصالية نسبياً عن العلوم الإنسانية والاجتماعية، إذ أنّ حيزاً معتبراً من النقاش بين الباحثين يدور حول تصنيف علوم الإعلام والاتصال، هل هي فرع معرفي مستقل بموضوعاته ومناهجه؛ أم أنها تنتمي إلى دائرة العلوم الاجتماعية أو دائرة العلوم الإنسانية؛ هذه النقاشات والإسهامات البحثية المنهجية رغم ثرائها وتنوعها لم تسهم في تجاوز المعضلة الإبستمولوجية لمنهجية البحث في علوم الإعلام والاتصال، سواء في اتجاهاتها الخاصة بالبحوث الكمية أو الكيفية.

يتطلب تعدد مواضيع البحث في حقل الإعلام والاتصال الاستعانة بعدة نظرية تشمل النظريات والمناهج وأدوات البحث في جوانبه الإمبريقية والنظرية، ورغم أن الدراسات السابقة التي أجريت اعتمدت على المناهج والأساليب والتقنيات والأدوات وحتى المقاربات النظرية المعتمدة في الأبحاث الكمية والكيفية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، إلا أنها مازالت قاصرة عن تقديم إطار نظري منهجي متكامل للبحث في علوم الإعلام والاتصال.

ومع التطور المستمر للطفرة التكنولوجية في الإعلام والاتصال برزت ظواهر سلوكية وبنوية أكثر تعقيداً، إذ لا يمكن تفسيرها وتطبيق المناهج والتقنيات والمقاربات الموجودة عليها، مما يفرض فلسفة بحث شاملة عابرة للتخصصات والحقول المعرفية، تتكامل فيها الأسس الفلسفية لمناهج البحث المعتمدة وتطبيقاتها، ومنه طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى يمثل التكامل المنهجي بديلاً إبستمولوجياً لإشكالية القصور المنهجي للبحث في علوم الإعلام والاتصال ؟
أولاً: فلسفة المناهج كمنطلق للعلم والمعرفة:

1. المنطلقات الأساسية:

يرتبط تاريخ العلم بتاريخ العقل البشري وتفاعله مع الخبرات التجريبية ومعطيات الحواس، من حيث هي تراكم معرفي أسهم في صياغة الأسس الفلسفية والأطر المنهجية للعلم والمعرفة، بما في ذلك المناهج المعتمدة وأساليب الاستدلال وأنماط التعاطي مع المشكلات في بعدها النظري والتجريبي، فالمعرفة الإنسانية كبنية تشكلت وارتبطت بسيرورة الحضارة التي صاغها الإنسان ونعيش اليوم مظاهرها. فلسفة العلم إذن تتمحور حول طرق التفكير في العلم: مناهجه ومنطلقاته وموضوعاته، ويوازها في ذلك البحث في بنية المعرفة العلمية من حيث شروطها وعوامل تشكيلها واتجاهاتها، وهي المحددة لرسوم الحقول المعرفية. ذلك هو جوهر نظرية المعرفة العلمية أو ما يعرف بالإبستمولوجيا، وهذا المدخل الفلسفي الذي يعبر عن أصول التفكير، تجلت ملامحه منذ اكتمال بداية العلوم التجريبية ومحاولة استخداماتها في العلوم الاجتماعية والإنسانية (الخولي، 2000). (ص ص 11-12).

فعلى ضوء التطور غير المسبوق للعلوم التجريبية، خصوصاً الفيزياء الكلاسيكية وامتدادها إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية، تطورت الأسس النظرية للبحث في ميدان الاتصال بما في ذلك سوسيولوجيا المعرفة ودراسة الظواهر التي برزت من استخدامات أساليب الاتصال ووسائل الاتصال الجماهيرية وتأثيراتها الاجتماعية، مما خلق طفرة معرفية متداخلة بين بنية المعرفة ومناهج تحصيل المعارف وأدوات تحليل الظواهر، خصوصاً الاتصالية والإعلامية، وأسّس لأرضية معرفية إبستمومية ساهمت فيها الأطر النظرية

لمختلف الحقول المعرفية خاصة الجانب التجريبي الفيزيائي والمنطق والرياضيات والقانون وحقل العلوم الاجتماعية والحقول المعرفية الإنسانية الأخرى.

2. تحديد المواضيع في بحوث الإعلام والاتصال:

أخذت إشكالية ضبط المواضيع التي تهتم بها علوم الإعلام والاتصال حيزا هاما من عمليات التفكير للمشغلين في هذا الميدان، ولذلك علاقة مباشرة بالسياق التاريخي لنشأة هذا الحقل المعرفي، والمستمد من حيث بنائه النظري مع العلوم الاجتماعية والإنسانية على غرار علم النفس، علم الاجتماع، علم السياسة وعلم الاقتصاد، فاستندت الى المواضيع الخاصة بهذه العلوم وامتدت الى استكشاف مجالات بحث جديدة انطلاقا مما يعرف بالرغبة التخصصية التي عبر عنها Yves jeanneret والمؤسسة لتكوين مواضيع علمية مستقلة ومجال معرفي جديد (خلال: 2017-2018). ص 55)، واستقلالية الحقل المعرفي الخاص بعلوم الإعلام والاتصال ساهمت فيه التطورات في بنية وسائل الإعلام في جانبه التقني والوظيفي خاصة في فترة ما بين الحربين العالميتين، خاصة اكتشافات الهاتف، تطور الإذاعة والتلفزيون، وتوسع نطاق استخدامات تكنولوجيا الإعلام والاتصال بعد ذلك.

فمن حيث البناء الفلسفي والمعرفي يتجلى الطابع العبر تخصصي. يبرز ذلك من خلال تسميته بعلوم الإعلام والاتصال وليس علم الاعلام والاتصال بصيغة المفرد، واشتركت في البحوث الأولى والتي سميت إمبيريقية مع البحوث الكمية للعلوم التجريبية خاصة دراسة مواضيع جمهور وسائل الإعلام، ثم تطورت وفق بحوث خاصة بالرأي العام إنطلاقا من البحوث المقدمة في العلوم السياسية حول ظاهرة الانتخابات، ثم البحوث الخاصة بالمدخل المؤسسي لوسائل الإعلام، واشتركت في هذا الأخير مع مناهج وأدوات ومقاربات كان ينفرد بها علم القانون وعلم الاقتصاد، وتوزعت مواضيع البحث في العالم الغربي خاصة في أمريكا وأوروبا الغربية على مجالات تشمل البحث في وسائل الإعلام التقليدية كمحور، مواضيعه هي الفضاء العمومي والاتصال، إقتصاديات وسائل الإعلام، الوسيلة والجمهور. ومع تطور الوسائل ضمن مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال انتقل البحث إلى مواضيع جديدة منها استخدامات وسائل الإعلام الجديدة، والتشريعات الإعلامية، وفي مجال تطور الصناعات الثقافية امتد الاهتمام إلى مواضيع الاتصال والسينما، اللغة والاتصال، صناعة الصورة والتأويل، ليمتد إلى المجالات السلوكية لأفراد المجتمع.

وانصب الاهتمام أيضا على التفاعل بين مكونات البنى التنظيمية للمجتمع مثل اتصال التنظيمات، إتصال الأزمات، التسويق والإشهار، ومع بروز المشكلات البيئية في العالم اتجه البحث إلى مواضيع خاصة بالمحيط ومشاكل المدن، وانتظمت مواضيع أخرى، منها الاتصال والمنظومة الصحية كمحور في الاتصال الاجتماعي.

هذا الامتداد برز أيضا في محاور الاتصال الدولي والعلاقات الدولية، الصحافة والاتصال السياسي، وانبثقت منها مواضيع مثل الاتصال الدولي والعلاقات الدولية، التنوع الثقافي، أخلاقيات مهنة الصحافة، صحافة الانترنت، العلاقات بين الجماعات الاجتماعية، دراسات التأثير والتفاعل، الأحزاب السياسية والانترنت، الدعاية الإشاعة والايديولوجيا (Bonneville et Sylvie, (2007). pp11-12).

3. فلسفة المناهج في علوم الإعلام والاتصال:

تتأسس الدراسة المنهجية والدراسة التحليلية بصفة عامة على ادعاءات ذات طبيعة فلسفية وفق خيال ومنطق يختزل المعرفة في بناها الشكلية ويقدم تصورات ذات طبيعة فكرية، تؤسس لإنشاء المعرفة وفق طرق وأساليب غير مضبوطة، يراد منها تحقيق أهداف بحثية، والمنهج بهذا المعنى يتكون من مجموع العمليات الفكرية التي يهدف وفقها اختصاص معرفي ما، إلى بلوغ الحقائق التي يهتم بها ويثبتها ويتحقق منه، كما أنه

مجموعة من القواعد التي تشمل عمليات محاكاة وإدراك تجعل الواقع سهل التناول، فالمنهج يقدم طرائق ملموسة لتصور البحث وتنظيمه وفق درجات متفاوتة من الدقة والانتظام.

ويرتبط المنهج أيضا بمحاولة تفسير الظواهر، إذ يأخذ شكل موقف فلسفي ضمن مختلف خطوات البحث، ويهدف إلى إنشاء مخطط تفسيري يتسع ويتعمق ويستوعب مختلف عناصر البحوث، نجده في المنهج الجدلي والوظيفي التاريخي (غراويتس، ترجمة سام عمار، (1993)، ص 10).

بعض المناهج ترتبط بميدان بحث خاص مثل المنهج التاريخي ومنهج التحليل النفسي، وهذا النوع من المناهج يقدم تصورات نظرية إجمالية للحقل المعرفي الذي يختص به وقد يقترب أحيانا من كونه نظرية. إجمالا، يمكن القول أنّ المنهج يشكل مجموعة متناسقة من العمليات المستعملة لبلوغ هدف أو جملة من الأهداف والمبادئ التي توجه البحث والمعايير التي تتيح اختيار وتنسيق أدوات وتقنيات البحث. إنها تشكل بطريقة متباينة الطابع التجريدي أو الحسي للبحث ودرجة الدقة أو الغموض، والتصور العام لمخطط العمل الذي يضعه الباحث. (غراويتس، (1993). المرجع نفسه، ص 11).

ويعرف المنهج بأنه الطريق المؤدي لاكتشاف الحقيقة وفق قواعد علمية تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته للوصول إلى نتيجة معلومة. (عبد الله، <http://studies.aljazeera.net-ar-article-5384>), كما يعني منهج البحث الاستخدام الأمثل للطرق العلمية المنظمة بهدف إيجاد الحلول لمشاكل الحياة وتعقيدها.

ثانيا: الأسس النظرية للبحث في علوم الإعلام والاتصال:

ينبع التراث المعرفي الأساسي لتفسير الظاهرة المتعلقة بالإعلام والاتصال، من إسهامات عديدة لمدارس تقليدية، تم اعتبارها اللبنة الأولى للبعد المنهجي في الدراسات الإعلامية والاتصالية. تجلت على الخصوص، في المدرسة البنيوية وفق الاتجاه الموضوعي ووفق أساليب وتقنيات فككت الظواهر بنيويا، والمدرسة الوظيفية خصوصا إسهامات هارولد لازويل والمشكلة لمرجع نظري في تفسير أدوار ووظائف الإعلام، وتلتها المدرسة النقدية مع تيودور أدورنو وماكس هوركهايمر وهاربرت ماركوس وبعدهم يورغن هابرماس وميشال فوكو، والتي ركزت على المقاربة الكيفية بأدواتها ومناهجها لفهم مكونات الإعلام وآليات عمله بما في ذلك الإعلام الجديد، (تمار،-2022 <https://studies.aljazeera.net/sites/default/files/articles/documents/2022->). وتفرعت عن هذه المدارس مختلف النظريات التي أطرت الدراسات الإعلامية والاتصالية بمناهجها وأدواتها.

1. النظريات المفسرة للظواهر الإعلامية والاتصالية:

تنبغي الإشارة أولا إلى أن بروز وتطور هذه النظريات لم يتم بشكل خطي، بل تم في سياق من الاختلافات المتناقضة والمتباينة بناء على الخلفيات والمنطلقات المشكّلة لأسس كل نظرية، وإذ لا يمكن مسح كل التصنيفات بحكم اختلافاتها الفسيفسائية في الحقول المعرفية المتداخلة، فإنّ عمليات التصنيف تتم أساسا بالاعتماد على التطور التاريخي للمدارس الفكرية أو من خلال عناصر العملية الاتصالية كما حددها هارولد لازويل.

- نظريات الصحافة: وهي المرتبطة بالسياسات الإعلامية في المجتمع وعلاقة النظام السياسي بالنظام الإعلامي والتي حددها بيترسون ووليام تشرام في أربع نظريات هي: السلطوية والاشتراكية والليبرالية والمسؤولية الاجتماعية، وأضاف إليها آخرون النظرية التنموية ونظرية الديمقراطية التشاركية.

- النظريات النقدية: وهي النظريات التي ركزت على طبيعة العلاقة بين وسائل الإعلام والنظم الاجتماعية والتي يمكن تلخيصها في: (خلافة، (2017-2018)، ص 107-118):

- النظرية النقدية الكلاسيكية، وأدخلت هذه النظرية مفهوم الصناعة الثقافية وقامت بتحليل الإنتاج الصناعي للثقافة كسلعة يتم استخدامها للتأثير على العلاقات بين الأنساق الاجتماعية، والنظرية الثانية لهذه المدرسة الفكرية هي نظرية الاقتصاد السياسي التي ركزت على تأثير القوى الاقتصادية على أداء وسائل الإعلام

وأهمية الارتباط بين النظام الاقتصادي والنظام السياسي، وترى أنّ ملكية وسائل الإعلام والسيطرة الناتجة عن القوى الاقتصادية تعكس السيطرة على الرسالة الإعلامية، وتندرج ضمن التيار النقدي نظرية الدراسات الثقافية، انطلاقاً من تحليل العلاقة بين الجماعات الاجتماعية ومحتوى الصناعة الثقافية، والتي دعت إلى القطيعة مع مفاهيم الثقافة والصناعة الثقافية. تلك المفاهيم التي كانت سائدة لدى الرواد الأوائل للاتجاه النقدي (خلافة، (2017-2018)، المرجع السابق نفسه).

- نظريات التأثير: والتي اهتمت بوصف وتفسير تأثير وسائل الإعلام على الجمهور، ومنها:

. نظريات التأثير المطلق: (نمار. (2004-2005). ص75) تعود جذورها إلى تأثير الدعاية كأسلوب لتوجيه الجماهير وأيضاً الراديو والفيديو كوسائل للتأثير المباشر، وتندرج ضمنها نظرية لولب الصمت، ونظرية الحتمية التكنولوجية لمارشال ماكلوهان وهي حديثة نسبياً، ويتم نقدها وتبرز نظريات التأثير المحدود، والتي اعتمدت على التقليل من قوة تأثير وسائل الإعلام ورأت أن هناك عوامل أخرى تدخل في تحديد العلاقة بين الوسيلة والجمهور ويمكن أن نذكر منها نظرية انتشار المبتكرات، وقد ركزت على الشروط التي تجعل اعطاء مجموعة ثقافية ما يتبنون أو يرفضون فكرة أو إنتاجاً جديداً وحاولت شرح المتغيرات التي تؤثر في، كيف ولماذا يتبنى الجمهور وسيلة إعلامية جديدة مثل الانترنت، وظهرت أيضاً نظرية التدفق عبر مرحلتين والتي وضع أسسها لازارسفيلد إذ ركزت على مفهوم النخبة أو قادة الرأي ودورهم كوسيط مؤثر بين الإعلام والجمهور مما يجعل الاتصال الشخصي أهم من الاتصال الجماهيري ونجد أيضاً نظرية ترتيب الأولويات والتي تركزت أعمالها حول العلاقة بين تركيز وسائل الإعلام على قضية معينة وأهمية هذه القضية لدى الجمهور، إذ تفترض هذه النظرية وجود رابط بين الطريقة التي تعرض بها المواضيع في وسائل الإعلام وبين أهميتها لدى الجمهور المتلقي، وهنا يكمن دور وسائل الإعلام في اختيار وعرض الأخبار وترتيبها، إذ يمارس الإعلاميون دوراً في تحديد المسائل المسائل الهامة بالنسبة لأفراد المجتمع وبالتالي فهم يقومون بدور بارز في الحياة الاجتماعية. (خلافة، (2017-2018)، مرجع سابق، ص159).

2. مناهج البحث في علوم الاعلام والاتصال:

يعد اختيار المنهج ركناً أساسياً في البناء المنهجي لتفسير الظاهرة الإعلامية والاتصالية، إذ تجسد المناهج التصور النظري الذي يؤطر البحث من خلال القواعد المنهجية التي يقوم عليها. لذلك فإنّ المناهج تتنوع باختلاف المداخل والمقاربات المنهجية التي يتضمنها البناء النظري للبحث. وإذا كان علم المنهجية يدرس الفلسفة العامة للمناهج والافتراضات التي يقوم عليها وتطوير المقاربات والتقنيات والأساليب والأدوات لتحقيق الأهداف العامة للبحث، فإنّ الاختلاف حول المناهج المستخدمة في بحوث الاعلام والاتصال بدأ انطلاقاً من المعايير المعتمدة في تصنيفها، فهناك من ركز على تصنيف المناهج وفق طبيعة الأسلوب المتبع في البحث، فتم تقسيم المناهج إلى المنهج التاريخي، المنهج الوصفي التحليلي، المنهج التجريبي والمنهج المقارن، بينما اعتمد آخرون في تصنيفاتهم على طبيعة الظاهرة المدروسة، وحدد ماركيز في هذا السياق ستة أنواع من المناهج هي: المنهج الانثروبولوجي، المنهج الفلسفي، المنهج التاريخي، المنهج المسحي، منهج دراسة الحالة والمنهج التجريبي. (عليان، غنيم. (ط5)، (2013). ص58-59).

وهناك العديد من التصنيفات الأخرى، (انظر في تصنيفات المناهج، خلافة، (2017-2018)، مرجع سابق، ص231-234. وأيضاً: كويبي، (مج7، ع2، 2021)، ص610-622) نأخذ منها التصنيفات التي تعتمد على التمييز بين المناهج انطلاقاً من معيار البحوث الكمية والبحوث الكيفية.

- مناهج البحث الكمي: هي التي تقوم على تفسير الظاهرة الإعلامية والاتصالية من خلال المعطيات العددية والأساليب الإحصائية، وعرفتها دائرة المعارف البريطانية بأنها المناهج التي يعتمد استخدامها على

المؤشرات العددية والإحصائية لدراسة الظواهر الاجتماعية بصورة يسهل فهمها والتعرف على العوامل المتداخلة بها، وتقوم هذه المناهج على افتراض أن الظواهر الاجتماعية والطبيعية متشابهة، إذ يركز البحث على اختبار النظريات والفرضيات وجمع المعلومات من خلال الطرق الرقمية والإحصائية والرسوم البيانية وغيرها، وتنطلق فلسفة المناهج الكمية من اعتبار الحقيقة الاجتماعية مستقلة عن العقل، فيمكن الوصول إليها من خلال الأساليب الرياضية والتقنيات الإحصائية على غرار ما هو معمول به في علوم الطبيعة مثل الفيزياء، والبيولوجيا وغيرها، وجاء هذا انطلاقاً من إسهامات الآباء المؤسسين للاتجاه الوضعي مثل سبنسر، الذي شبه المجتمع بالكائن العضوي، وأوغست كونت، الذي يرى أن قواعد المنهج في دراسة الظاهرة الاجتماعية تتمثل في الملاحظة والتجربة والمقارنة، (إبراهيم، مج11، ع1، 2023)، ص ص155-166)، وهو ما ذهب إليه من قبل الفارابي وابن سينا في تقسيم العلوم ودراسة العقل والواقع بمفهوم الحدود والرسوم بين العلوم، ويمكن تلخيص مناهج البحث الكمية في:

- المنهج الوصفي: وهو أكثر المناهج استخداماً في البحوث الكمية. يعتمد عليه الباحثون في الحصول على بيانات دقيقة ومفصلة حول الظاهرة محل البحث، يعتمد على التجريد والتعميم ويستخدم أسلوب الارتباط فيكشف العلاقة بين المتغيرات المكونة لمشكلة البحث، بينما اتجه بعض الباحثين إلى الخلط بين المنهج الوصفي ومنهج المسح، واعتبارهما منهجاً واحداً.

- المنهج المقارن: يستهدف التحليل المقارن التركيز على وحدتين أو أكثر من الوحدات الاجتماعية، ويتضمن سياقاً تحليلياً لأوجه التشابه والاختلاف بين المتغيرات من خلال جمع البيانات والمعلومات الوافية عن كل منها.

- المنهج التجريبي: ويعد أحد المناهج الملائمة لكشف الحقائق وصياغة التفسيرات على أساس الضبط والدقة، وهو أكثر ملائمة لاختبار العلاقة السببية، ويستخدم المنهج التجريبي في الدراسات الإعلامية والاتصالية التي تركز على التأثير، إذ يمكن من الإجابة على الأسئلة الخاصة بتأثير الإعلام على السلوك الاتصالي للأفراد وصياغة الآراء والاتجاهات والتغير في أنماط السلوك والمعرفة وفق كل نموذج إعلامي. (عبد الحميد، 2004)، ص ص206-207).

- مناهج البحث الكيفية: يقوم البحث الكيفي على قاعدة أن الظاهرة الإعلامية كجزء من الظاهرة الاجتماعية والانسانية مختلفة عن الظاهرة الطبيعية، ويركز على فهم السلوك العام من منظور داخلي، إذ يستخدم مصطلحات ومفاهيم مثل الفهم والسياق والتعقيد، فهو لا يهدف إلى الفهم المعمق للظاهرة وبالتالي صياغة الفرضيات وبناء النظريات.

تأسست مناهج البحث الكيفية على فلسفة ماكس فيبر وأعمال مدرسة شيكاغو والتفاعلية الرمزية الذين انتقدوا الاتجاه الوضعي وركزوا على مبدأ استقلالية العلوم الانسانية والاجتماعية عن العلوم الطبيعية، ويضم هذا الاتجاه عدة مناهج منها:

- المناهج النقدية (كوببي، مج7، ع2، 2021)، مرجع سابق، ص 613): التي تقوم على ربط الظاهرة الإعلامية بالسياق السياسي والاقتصادي، وينعدم فيها البعد الإحصائي إذ تهتم بالسيمولوجيا وتحليل الخطاب وغيره.

- منهجية التفاعلية الرمزية: التي تركز على التفاعل الاجتماعي عن طريق اللغة، وأبرز إسهاماتها كانت من خلال أعمال مدرسة شيكاغو.

- منهجية الانثروبولوجيا والاثنوغرافيا: وتبحث في المجتمعات القديمة أو المغلقة لمعرفة طبائعها وأنماط حياتها.

- منهجية الحتمية القيمية: والتي وضع أسسها عزى عبد الرحمن انطلاقا من اعتبار القيمة كمعيار لدراسة الجمهور أو المحتوى الاتصالي.

- المنهج التاريخي: الذي يقوم على إعادة التفكير في الماضي وكتابة الأحداث التاريخية بوعي، من خلال تسجيل ووصف الأحداث والوقائع وتحليلها وتفسيرها، ليعتمد على الوثيقة التاريخية واستغلالها باستخدام تقنيات ومبادئ توجيهية، ويستند إلى نوعين من المصادر أولها المصادر الأولية وتتمثل في الآثار والوثائق والشهادات، وكافة البيانات الأصلية الموثقة، ثم المصادر الثانوية وهي المعلومات والبيانات المنقولة عن المصادر الأولية (خلافة، 2017-2018)، مرجع سابق، ص 264-6-265).

- منهج دراسة حالة: هو الدراسة المعمقة والتفصيلية لحالة فرد أو جماعة أو مؤسسة أو مجتمع، عن طريق جمع وتحليل البيانات الخاصة بها وإعطاء وصف شامل وتفصيلي للعلاقة السببية بين المتغيرات الأساسية في الحالة محل الدراسة، وتطبق دراسة الحالة على المؤسسة الاعلامية كبنية من خلال وصف اتجاهاتها وسياساتها ومصادر تمويلها وعلاقاتها مع المؤسسات الاخرى، ويمتاز هذا المنهج بخصائص عديدة، مثل التركيز على حدث أو ظاهرة محددة والوصف المفصل واستخدام المنطق الاستقرائي المنطلق من قاعدة الجزء إلى الكل وأيضا صياغة تفسيرات واستكشاف مفاهيم جديدة للظاهرة المدروسة. (خلافة، 2017-2018)، مرجع سابق، ص 262).

ثالثا: المداخل الأساسية للتكامل المنهجي وتطبيقاته:

تكتنف معالم البناء المنهجي لعلوم العلوم والاتصال صعوبات وتعقيدات ترجع أولا إلى طبيعة الظاهرة الاعلامية والاتصالية المعقدة وسريعة التحول، وأيضا الى السياق التاريخي الذي نشأ في ظله هذا الحقل المعرفي وتداخله مع التخصصات العلمية الأخرى واستفادته من أطرها النظرية ومنطلقاتها المنهجية. لذلك فإنّ الباحثين في الاعلام والاتصال درجوا على استخدام قواعد المنهجية بشكلها الموسع، مما أنتج تعددا في المقاربات وتنوعا في المناهج وأضفى على البناء المنهجي للاعلام والاتصال طابع المرونة والموائمة. ونظرا لطبيعتها وما تنطوي عليه من أبعاد خاصة، فإن المداخل النظرية لعلوم الاعلام والاتصال تتسع بشكل يستوعب أسس ومبادئ وتطبيقات المناهج الكمية والمناهج الكيفية معا، ولذلك لم يعد غريبا أن ينادي بعض المشتغلين بالدراسات الاعلامية والاتصالية بضرورة تجاوز المآزق المنهجي وإحداث قطيعة إبستمولوجية مع الدراسات الاعلامية السابقة والتي تعتمد الفصل الصارم بين المناهج، والانتقال إلى مقارنة منهجية حديثة وشاملة ومعتمدة في الحقول المعرفية الأخرى، بما يضيف على الدراسات الاعلامية والاتصالية طابع التنوع والثراء. ذلك ما نعينه باعتماد تكامل المناهج كمنطلق للنظر إلى الظاهرة الاعلامية والاتصالية ضمن رؤية متكاملة وتفسير عميق للعلاقة بين متغيرات الظاهرة بما في ذلك المتغيرات الضابطة.

1. مفهوم تكامل المناهج:

يفرض التداخل بين علوم الاعلام والاتصال والعلوم الأخرى على الباحثين الانفتاح على مبادئ ومناهج ونظريات تلك العلوم والاستفادة من التحسينات والتعديلات المنهجية المعتمدة حديثا في مختلف التخصصات العلمية.

ننطلق في تحديد مفهوم تكامل المناهج من كون معالجة إشكالية أو مجموعة إشكاليات يتطلب أحيانا جهدا ابتكاريا يتمثل في استخدام أكثر من منهج واحد في نفس السياق البحثي، وتجاوز مشكلة المعادلة بين من يرتقي إلى كونه منهجا أو هو مجرد أسلوب فقط، فمثلا تحليل المضمون وتحليل الخطاب والتحليل الاثنوغرافي، تعتمد كمناهج في معاهد وكليات الاعلام، في حين يصنفها بعض الباحثين من نفس التخصص كأسلوب يفقد إلى تقنيات وأدوات وفلسفة عامة ترتقي إلى أسس تحديد وتصنيف المنهج.

يعرّف تكامل المناهج بأنه منهج بحثي يقوم فيه الباحث بالجمع بين عناصر ومكونات المنهج الكمي والمنهج الكيفي بهدف فهم مشكلة البحث بصورة أكثر عمقا (إبراهيم. (مج 11، ع 1، يناير 2023). نفس المرجع السابق، ص 157)، ويعرّف بأنه استخدام طرق متعددة للبحث من أجل الوصول إلى أعلى درجات من الصدقية والدقة أفضل مما إذا اقتصر على اعتماد طريقة واحدة. ويعرّفه دانيال ليتل: بأنه تعدد المناهج والاتجاهات النظرية في العلوم الاجتماعية على أساس أنها تتضمن أساليب وقضايا متنوعة، وبالتالي فهي ليست مقتصرة على التصنيفات التفسيرية التقليدية كالنظريات الوضعية والمادية والتاريخية، كما يعرف أيضا استخدام أكثر من منهج أو أكثر من مصدر للبيانات أو أكثر من أداة لجمع البيانات أو أكثر من نظرية لتفسير ظاهرة ما. ويمكن القول إذن أنّ التكامل المنهجي هو استخدام مناهج متعددة وأدوات ونظريات متعددة أيضا كمدخل منهجية لدراسة وتحليل الظاهرة الإعلامية والاتصالية.

2. أهمية ومزايا اعتماد تكامل المناهج في بحوث الإعلام والاتصال:

مع تطور سيرورة البحث في الظاهرة الإعلامية والاتصالية، وازدياد شدة تداخلها من حيث المداخل الأساسية لها مع البيئة الرقمية والخاصة بتأثيرات هذه الأخيرة، لم يعد بالإمكان فصل مناهج البحوث الكمية مع مناهج البحوث الكيفية في كثير من الدراسات خاصة وأن البحث في علاقة الاتصال بالاقتصاد والقانون والسياسة، والثقافة، والظواهر السلوكية ضمن حركية تسارع المجتمع، وأضحى الاعتماد على التكامل المنهجي للوصول إلى الحقيقة ضرورة استمولوجية.

يتحدد نوع المنهج المستخدم في البحث إلى درجة كبيرة من خلال الموقف المعرفي الاستمولوجي الذي يوجه الباحث والذي يشكل المنطلق الأساسي لضبط منهج وأدوات ونظريات الدراسة، وأحيانا يلجأ الباحث لإجراء بحث كمي بهدف تحليل البيانات، ثم يجد نفسه مضطرا لتوظيف البحث النوعي لتفسير تلك البيانات، وحتى استخدامات الأدوات السابقة لكل منهج أضحيت قاصرة لجمع البيانات والوصول إلى نتائج دقيقة وواضحة، فبعض الدراسات أحادية المنهج، لا يمكن تعميمها ونتائجها تفتقد إلى الدقة العلمية ولا تغطي الأهداف البحثية للكشف عن الحقيقة العلمية من كل جوانبها (القاسم. (مج 5، ع 6، ماي 2021)، ص 22).

ولتجاوز هذا القصور المنهجي عمد الباحثون إلى ابتكار أساليب منهجية وتطوير طرق البحث، خاصة للمشغلين بالبحث مثل ما عبر عنها محمد عبد الحميد في تقسيمه إلى مداخل بحثية في الدراسات الإعلامية والاتصالية مثل المدخل المؤسسي الخاص بالمقاربة الاقتصادية لوسائل الإعلام، اقتصاد المعرفة، المدخل القانوني، الدراسات التي تشتغل على العلاقة بين النظام السياسي والنظام الإعلامي، والدراسات الخاصة بالجغرافيا السياسية والديمقراطية والنظم الاتصالية الكلاسيكية والرقمية (عبد الحميد. (2004)، صص 29).

3. الحدود المعرفية لتوظيف التكامل المنهجي في الدراسات الإعلامية :

ساهم اعتماد التكامل بين المناهج الكمية والكيفية في توفير وسائل لسد الفجوة بين المستويات الكلية والجزئية، والاستفادة من السمات الهيكلية واسعة النطاق للظاهرة الاتصالية والإعلامية، ذلك أن مناهج البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل عام ترتبط بالمواقف المعرفية المتماثلة والأصيلة وهذا ما يوفر إمكانية الجمع بين عدد من تلك المناهج للاستفادة من الأساليب والتقنيات والأدوات لكل منهج، فتكامل المناهج هو أنسب طرق البحث وأكثرها ملائمة لعلوم الإعلام والاتصال، وتوفر فهما أكثر اكتمالا لطبيعة الإشكالات البحثية في هذا الحقل المعرفي، وتجاوز مشكلة انتماء علوم الإعلام والاتصال في سياقاتها المعرفية والمتمثلة في الاتجاه الواقعي الوضعي والاتجاه النقدي والاتجاه التفسيري المؤصلة لأصل المناهج وضمن المدارس الفكرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، والتخلص من إشكالية هل إنّ علوم الإعلام والاتصال هي ضمن العلوم الاجتماعية أو ضمن العلوم الإنسانية.

يجادل بعض الباحثين بأن استخدام التكامل المنهجي سيؤدي إلى نتائج دقيقة وأكثر تعبيراً عن الحقيقة العلمية، فهم يرون أن مناهج البحث سواء الكمية أو الكيفية هي طرق مختلفة ومبتكرة لدراسة نفس الظاهرة والإجابة عن نفس الأسئلة والافتراضات الواحدة، إذ يمكن التحقق من النتائج التي يوفرها نوع من المناهج ومقارنتها مع النتائج التي يوفرها منهج آخر بتقنياته وأساليبه ومقارباته وأدواته (عبد الحميد، 2004)، صص157)..

وهذا الأسلوب المركب أضحى استخدامه واسع النطاق في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وضرورة للأبحاث والدراسات المستقبلية في علوم الإعلام والاتصال رغم استمرار فريق من الباحثين في الدفاع عن مبدأ الفصل بين المناهج الكمية والكيفية كادعاء غير مؤسس وتقليدي يرفض كل ما ينتجه العقل من طرائق بحث وأساليب بحث مبتكرة وهادفة ووفق البنات الخاصة بالتفكير العلمي، فتكامل المناهج هو حتمية وضرورة منهجية تتيح منظورا مختلفا للظواهر والحالات المستحدثة وتمنح إمكانية القيام ببحوث علمية متكاملة، وتساهم في ابتكار وخلق أدوات وتقنيات وأساليب منهجية حديثة تتماشى والمتغيرات الحديثة.

II. نتائج الدراسة

أثبتت الدراسة أن القصور المنهجي في علوم الإعلام والاتصال نابع أساسا من التداخل الذي فرضته طبيعة البحث في هذا الحقل المعرفي مع تخصصات علمية أخرى؛ وكذا نتيجة اعتماد الباحثين الفصل الصارم بين مناهج البحث الكمية والكيفية، مما أبقى هذا التخصص غير قادر على فرض استقلاليته المنهجية.

كما أثبتت الدراسة أيضا أن تكامل المناهج يُعدّ الطريق الأسلم لتجاوز مأزق القصور المنهجي وإثراء أبحاث علوم الإعلام والاتصال عن طريق التأطير النظري الذي يأخذ بعين الاعتبار الطابع العبر تخصصي وسرعة التحولات في الفضاء الإعلامي والاتصالي.

III. خاتمة:

انطلقت هذه الدراسة من النقاش الواسع في السنوات الأخيرة بين المشتغلين بقضايا المنهج في الدراسات الإعلامية والاتصالية لاسيما معايير اعتماد المناهج وأدواتها وطرق استخدامها، من حيث إمكانية تطبيق معاملات الصدق والثبات والتحقق من صدق الفرضيات وتعميم النتائج وتفسير العلاقات السببية، والمزايا الموجودة في كل منهج، وهو نقاش خلف تناقضات وترك المتابعين والمهتمين بتطبيق تلك المناهج والتقنيات في حالة من الارتباك المعرفي والقصور المنهجي، مما انعكس على نوعية البحوث العلمية في علوم الإعلام والاتصال، والوصول إلى نتائج تفتقر إلى الثراء والدقة والموضوعية.

وخلصت الدراسة إلى حتمية تجاوز المشكلة الابستمية المتعلقة بالتراكم المعرفي، وإحداث قطيعة استيمولوجية مع القصور المنهجي الناتج عن الاستخدام الأحادي للمناهج والفصل الصارم بين المناهج المعتمدة في البحوث الكمية وتلك المعتمدة في البحوث الكيفية لعلوم الإعلام والاتصال، ليكون التكامل المنهجي منطلقا معرفيا جديدا والاستفادة من العلاقات العضوية والمتكاملة بين مبادئ وقواعد وتقنيات المناهج لاستيعاب تطور الوسائل وتغطية حركية الظاهرة الإعلامية والاتصالية مع حركية تطور المجتمعات.

المراجع:

- المؤلفات:
الخولي، يمني طريف. (ع264. 2000) فلسفة العلم في القرن العشرين: الأصول- الحصاد- الأفاق المستقبلية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون.
عليان، ربحي مصطفى. غنيم، عثمان محمد. (ط5). (2013). أساليب البحث العلمي: النظرية والتطبيق، الأردن : دار الصفاء للنشر والتوزيع.
غراويتس، مادلين، ترجمة: سام عمار. (1993). مناهج العلوم الاجتماعية، (دمشق: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
عبد الحميد، محمد. (2004). البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، القاهرة: عالم الكتب.
Luc Bonneville et Grosjean Sylvie, (dir.), (2007). *Repenser la communication en organisation*, Paris : Le Harmattan, Collection Communication et Organisation dirigée par Hugues Hotier.
- الرسائل الجامعية:
تمار، يوسف. (2004-2005). نظرية أجندة سيتينغ : دراسة نقدية على ضوء الحقائق الاجتماعية والثقافية والإعلامية في المجتمع الجزائري ، أطروحة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3.
خلالفة، زينب. (2017-2018). مواضيع نظريات ومناهج البحث في علوم الإعلام والاتصال في الجزائر: المجلة الجزائرية للاتصال أنموذجاً . أطروحة دكتوراة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة قسنطينة 03.
- المقالات:
إبراهيم، هاني. (مج11، ع1، يناير 2023). تكامل المنهجين الكمي والكيفي في سبيل نجاح البحوث السوسيولوجية الميدانية: دراسة سوسيولوجية تحليلية، مجلة الذاكرة.
كوبيبي، حفصة. (مج7، ع2، 2021). رؤية نقدية لمناهج البحث في الدراسات الإعلامية والاتصالية، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية.
مصطفى القاسم، ميادة. (مج5، ع6، ماي2021). التكامل المنهجي في دراسة وفهم الظواهر الاجتماعية: دراسة تحليلية في مناهج وطرائق البحث الاجتماعي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية.
- مواقع الانترنت:
تمار، يوسف (2022)، التقليد والجمود في بحوث الاتصال والإعلام في المجتمع الأكاديمي العربي، مركز الجزيرة للدراسات: <https://studies.aljazeera.net/sites/default/files/articles/documents/2022->
عبد الله، مي، رؤية نقدية لمناهج البحث في علوم الاعلام والاتصال ،مركز الجزيرة للدراسات: <https://studies.aljazeera.net-ar-article-5384>